

جوهري. فاذا كانت المقاومة، بعد عقد ونصف العقد من العمل المكثف المتواصل، لم تستطع الا «انجاز» ما وصلت اليه من حالة الضعف الراهنة، فانه ليس هنالك ما يمكن ان يشير الى امكان حدوث تغيير جوهري في هذا المجال في المستقبل. فهناك امراض وراثية خطيرة، مستعصية الحل.

ولا شك في ان هذا الواقع هو بيت القصيد في مسألة التمثيل الفلسطيني. فالحديث عن منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها «الممثل الشرعي الوحيد» يطلق هنا وهناك في مختلف انحاء العالم، ابتداء من معظم دول العالم الثالث، مروراً بالمعسكر الاشتراكي، وانتهاء بالأمم المتحدة، الخ. ولكن بالنسبة الى بعض انظمة التآمر العربية، ولعدد من الدول الاوروبية، وكذلك - وهذا هو المهم والاخضر - بالنسبة الى الاعداء، «الممثل» ليس ممثلاً، الا بشروط تعجيزية؛ وفي حال كونه كذلك فانه ليس «وحيداً»، وان كان وحيداً فانه ليس «شرعياً» بما فيه الكفاية. والسبب الرئيس لذلك، الذي ينبغي التذكير به مرة أخرى، هو حالة الضعف المزمنة المسيطرة على «الممثل» وعدم قدرته على فرض نفسه على معسكر الاعداء والخصوم. ويتحمل «الفكر» والممارسات المهجرية الفلسطينية المسؤولية الكبرى عن هذه الحالة؛ وقد آن الاوان لايقاف نشاطهم الضار عند حده، حتى لا يلحق بنا المزيد من الكوارث.

ان رفض القبول بـ «الممثل الشرعي الوحيد»، خصوصاً لدى معسكر الاعداء الاميركيين والاسرائيليين، عميق وجدي للغاية، كما هو معروف جيداً. وخلال السنوات العشر الاخيرة بذلت محاولات عديدة، وقدمت صيغ مختلفة واقتراحات متنوعة للالتفاف حول ذلك الرفض، ولكنها كلها باءت بالفشل. فالرفض ما زال مكانه، ويبدو انه سيبقى كذلك. ومن هنا طرحت مسألة المشاركة في التمثيل، على شكل وفد اردني - فلسطيني مشترك، وهي فكرة حظيت بمباركة بعض الدول العربية ومقاومة البعض الآخر (والكل، طبعاً، لاسبابه ومطامعه الخاصة به)، في محاولة للالتفاف حول ذلك الرفض وحمل الاميركيين والاسرائيليين على «ابتلاع الحبة»، ولكن دون نجاح كبير. فعلى الرغم من تلك التنازلات بقيت تحفظات كثيرة في محلها، منها - كما نذكر - اشتراط بقاء من يُعرفون بقيادة الصف الاول في العمل الفلسطيني بعيدين من المشاركة في اي وفد يمثل الفلسطينيين.

ومن ناحية اخرى، لا بد من الاشارة كذلك الى ان المحاولات العديدة، التي بذلت خلال السنين الماضية، للالتفاف حول «الممثل الشرعي الوحيد» والغاء دوره، لم تنجح - حتى الآن. ويبدو ان هذا الفشل العارض جعل بعض الاطراف التي تتمسح بـ «الممثل الشرعي الوحيد» وتعد نفسها عليه، يعتقد بأنه يملك حق «الفيثو» بشأن مسألة التمثيل. وهذا الاعتقاد غير صحيح، ذلك ان سبب ذلك الفشل لا يعود الى «شطارة» «الممثل» فقط، بقدر ما هو ناجم، أيضاً، عن «غيباء» الاعداء وعنادهم. فمن حسن حظ «الممثل» ان المشاريع والمقترحات المقدمة لحل القضية الفلسطينية لا تحظى برضى رجل الشارع الفلسطيني ولا تلفت نظره لتعارضها مع ابسط طموحاته، ولذا فانه يرفضها بالفطرة ويتمسك بـ «الممثل الشرعي الوحيد» الذي يبدو له - خصوصاً عندما يكون بعيداً عن تأثير المستيسرين والمهجرين - عاقلاً ومترناً، وبالتالي لا لوم عليه ولا مفر من التمسك به. ولكن ليس هنالك اي ضمان في ان يستمر الحال على هذا المنوال. فالاعداء والخصوم قد «يعقلون» قليلاً، فيقومون، لاعتبارات عديدة ومتنوعة، اقتراحات معقولة او بداية شبه معقولة لاقتراحات قد تبدو معقولة، او مقبولة من